أسرار الله في القرآن للإمام زين العابدين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية ـ كلية التربية
q_mazin@yahoo.com

إن صفات ومناقب آل البيت عليهم السلام، هي منبع من إحسان في وفاء وصدق وصبر وتقوى الله تعالى، إذ هي مراقبة الله سراً وعلناً، وقد ظهرت نتيجة عظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقال صلى الله عليه وآله: ((أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)) وهي قضية منطقية أخرى ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدّنيا، ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة، وقد اتفق علماء الاجتماع أن أسس الأخلاق أربعة: هي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة، وهذه من ثوابت آل بيت النبوة عليهم السلام، ويتفرع عن كل فضيلة فروعها الحكمة: الذكاء وسهولة الفهم، وسعة العلم، وعن العفة، القناعة والورع والحياء والسخاء والدعة والصبر والحريّة، وعن الشجاعة النجدة وعظم الهمة ولآل البيت عليهم السلام تلك المواقف، وعن السماحة الكرم والإيثار والمواساة والمسامحة. أما العدالة وهي أم الفضائل الأخلاقية، فيتفرع عنها الصداقة والألفة وصلة الرحم وترك الحقد ومكافأة الشر بالخير واستعمال اللطف. فهذه أصول الأخلاق وفروعها في بيت النبوة، فلم تبق خصلة منها إلا وهي مكتملة فيهم عليهم السلام. وقد برأهم الله من كل رذيلة، فتحقق أنهم من بيت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأنه على خلق عظيم فعلاً وعقلاً. وقال الفخر الرازي: لقد كان صلى الله عليه وآله على خلق عظيم. والخلق ما تخلق به الإنسان، ونرى النّهضة الفكرية في مدرسة آل البيت لها جذورها من بيت النبوة والّتي قامت على الوسطية والاعتدال والحب والوفاء، وأسست صلة التّعاون والتّراحم في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى أنّ بيوت آل البيت من نساء ورجال صغار وكبار تمتلك ثوابت الفكر المعتدل، ومن هنا تكمن أهمية وهدف البحث للنهوض بدور العلماء المسلمون ومفكروهم أصحاب الأفكار المعتدلة، لترسيخ جهود آل البيت عليهم السلام لدى الفرد والأسرة والمجتمع وتكون صورة حية في الواقع. لذا اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى ثلاثة مباحث وبينا في المبحث الأول الإمام السجاد حياته ومناقبه وجاء المبحث الثاني

ليتحدث عن خصائص مدرسة ونهج الإمام زين العابدين عليه السلام في التفسير. ووقع الثالث ليكشف عن أسرار آيات التنزيل من مدرسة الأمام زين العابدين عليه السلام واتبعنا البحث بخاتمة صورنا فيها خلاصة البحث والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

حياته ومناقبه وآثاره ونشأته

زين العابدين (٣٨ -٩٤ هـ = ٦٥٨ - ٧١٢ م) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الأئمة، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: "علي الأصغر" للتمييز بينه وبين أخيه "علي" الاكبر، مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة. يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي ابن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم. وليس للحسين "السبط" عقب إلا منه. أبو، علي "الأكبر"[١]. والإمام السجاد أعرف من أن يعرف، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع.، وتجلت فيه الفضائل المنبثقة من الورع والرحمة: يصلى لله في اليوم والليلة ألف ركعة. لهذا سمي "السجاد". إذا توضأ اصفر لونه وإذا قام أرعد من الفرق. ولما سألوه قال: أتدرون من أريد أن أقف بين يديه ومن أناجي[٢]. "السجاد" يطوف بالبيت فيركع، ويسجد، فإذا مكان سجوده قد بلله الدمع.. يقول عنه الحسن البصري: (ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء) مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة، والإمام علي بن الحسين عليه السلام له دعوات يدعو بهن وكان من دعائه اللهم إني أسألك سلوا عن الدنيا وبغضا لها ولأهلها فإن خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفذ وصفوها يرنق وجديدها يخلق وخيرها ينكد وما فات منها حسرة وما أصيب منها فتنة إلا من نالته منك عصمة أسألك اللهم العصمة منها ولا تجعلنا كمن رضي بها واطمأن إليها فإن من أمنها قد خانته ومن اطمأن إليها قد فجعته فلم يقم في الذي كان فيه منها ولم يظعن به عنها أحصى للعذاب ومنزلته وموت بالعذاب

وشدته فلا الرضا له بقي ولا السخط منه نسي انقطعت لذة الإسخاط عنه وبقيت شقوة الانتقام منه فلا خلد في لذة ولا سعد في حياة ولا نعشة بموت ولا نفسه أحببت بشره أعوذ بك اللهم من مثل عمله ومثل مصيره ثم قال كم لي من ذنب وسرف بعد سرف قد ستره ربي وما كشف ثم قال أجل ستر ربي فيه العورة وأقال فيه العثرة حتى أكثرت فيه من الإساءة وأكثر ربي فيها من المعافاة وحتى أني لأخاف أن أكون مستدرجا إني لأستحيي من عظمته أن أفضي إليه بما أستخفي به من عبد له وبما أنه ليفضح من هو خير مني فيما هو أدنى منه ثم ما كشف ربي لي فيه سترا ولا سلط علي فيه عدوا فكم له في ذلك من يد ويد ما أنا إن نسيتها بذكور وما أنا إن كفرتها بشكور وما ندمت عليها إذ لم أعتبك منها رب لك العتبى بما تحب وترضى فهذه يدي وناصيتي مقر بذنبي معترف بخطيئتي إن أنكرها أكذب وإن اعترف بها أعذب[٣]. وليس للإمام الحسين حسين "السبط" عليه السلام عقب إلا منه وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو بذلك ينتسب من قِبل أبيه إلى علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وإلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]. وتذكر بعض المصادر: أن المختار أبن أبي عبيد الثقفي اشترى جارية سندية وكانت أم ولد، واستحسنها ووجدها لا تليق إلا بعلي بن الحسين وليس هناك أحد أحق بها منه فأهداها إليه وقيل أن علي بن الحسين هو الذي اشتراها. وقد مدحها زيد بقوله: لقد صبرت بعد وفاة سيدها إذا لم يصبر غيرها، وقالت عنها فاطمة بنت الحسين: أما والله لنعم دخلية القوم كانت، ويروي ابن قتيبة: أن اسمها حيدان وقيل أم حيدان[٥]. ولعل من أطيب موائد ضيافة شهر الله، الاستغفار في أسحاره الشريفة.. حيث صفاء الليل وقداسة الوقت وسمو المطلب، فإذا دعونا بدعاء مولانا الإمام السجاد علي بن حسين "عليه السلام" خامر قلوبنا الأمل والرجاء، وتعلمنا التوبة والعبودية الرفيعة: عظم يا سيدي أملي، وساء عملي، فأعطني، من عفوك بمقدار أملي، ولا تؤاخذني بأسوأ عملي، فإن كرمك يجل عن مجازاة المذنبين، وحلمك يكبر عن مكافاة المقصرين. وأنا يا سيدي! عائذ بفضلك، هارب منك إليك، متنجز ما وعدت من الصفح عمن أحسن بك ظنا. وما أنا يا رب؟! وما خطري؟! هبني بفضلك، وتصدق علي بعفوك. أي رب جللني بسترك، واعف عن توبيخي بكرم وجهك[٦]. وذكر في الاحتجاج: أن السجاد عليه السلام قال لها: يا عمة اسكتي، ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر، فسكتت.

وعن الباقر، قال: حدثني أبي السجاد، قال: حدثني أبي الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد الشهداء، قال: حدثني أبي الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإيمان عقد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان. قال: فخرس أهل المجلس كلهم، ونهض أبو الصلت وأما زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو من رجال الطبقة الثانية من التابعين، ومن كبار ساداتهم ديناً وعلماً، ومن فقهاء أهل البيت وأفاضل بني هاشم وعباد المدينة، في الإسلام البر والصلة. وكف الأذى. والمعونة، والاحتمال، والأخلاق السجيحة ووجه من قرأ: ((أشداء، ورحماء)) بالنصب -: أن ينصبهما على المدح، أو على الحال بالمقدّر في [مَعَهُ]، ويجعل [تَرَاهُمْ] الخبر [سيماهم] علامتهم. وقرىء: ((سيماؤهم)) وفيها ثلاث لغات: هاتان. والسيمياء، والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، وقوله تعالى: [مِّنْ أَثَرِ السجود] يفسرها، أي: من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان كل من العليين: عليّ بن الحسين زين العابدين، وعليّ بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك، يقال له: ذو الثفنات؛ لأنّ كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير. وقرىء: ((من أثر السجود)) و((من آثار السجود))، وكذا عن سعيد ابن جبير: هي السمة في الوجه. فإن قلت: فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: علىّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره على ابنته فاطمة، وذُرِّيته صلى الله عليه وآله منها. أُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم. وهو أول هاشمي وُلِد من هاشميين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأول خليفة من بنى هاشم، وهو أول مَن أسلم من الأحداث وصدَّق برسول الله صلى الله عليه وآله. هاجر إلى المدينة(٧). وموقفة بن الهجرة مشهور، قيل: ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.. وقد شهد علىّ المشاهد كلها إلا تبوك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خلَفه على أهله، وله في الجميع بلاء عظيم ومواقف مشهورة، وقد أعطاه الرسول صلى الله عليه وآله اللواء في مواطن كثيرة، وقال يوم خيبر: "لأعطيَّن الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله"، ثم أعطاها لعلىّ رضى الله عنه، وآخاه رسول الله صلى الله عليه وآله لَّما آخى بين أصحابه وقال له: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، اجتمع فيه من الفضائل ما لم يحظ به غيره، فمن ورع في الدين، إلى زهد في الدنيا، إلى قرابة وصهر برسول الله صلى الله عليه وآله، إلى علم جم وفضل غزير، وقد توفى رحمه الله في رمضان سنة أربعين من الهجرة، مقتولاً بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي،

وعمره ثلاث وستون سنة، وقيل غير ذلك أما مبلغه من العلم: كان عليه السلام بحراً في العلم، وكان قوى الحُجَّة، سليم الاستنباط، أُوتِىَ الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر، وكان ذا عقل قضائي ناضج، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأُمور، وكثير ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفى واستجلاء ما أشكل، وقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله قضاء اليمن، ودعا له بقوله: "اللّهم ثبِّت لسانه وأهد قلبه"، فكان مُوفَّقاً ومُسدَّداً، فيصلاً في المعضلات، حتى ضُرِب به المثل فقيل: "قضية ولا أبا حسن لها"، ولا عجب، فقد تربى في بيت النبوة، وتغذَّى بلبان معارفها، وعَمَّته مشكاة أنوارها. روى علقمة عن ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علىّ بن أبى طالب. وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد ألعم من عليّ؟ قال: لا، والله لا أعلمه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره". والذي يرجع إلى أقضية الإمام علىّ عليه السلام وخطبه ووصاياه، يرى أنه قد وُهِبَ عقلاً ناضجاً، وبصيرة نافذة، وحظاً وافراً من العلم وقوة البيان. ومنه انتهل وشرب زين العابدين.

المبحث الثاني

خصائصه ومكانته من التفسير عليه السلام

جمع الإمام علىّ بن الحسين عليه السلام إلى جانب مهارته في القضاء والفتوى والعبادة والزهد، علمه بكتاب الله، وفهمه لأسراره وخفي معانيه، فكان على علم بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل، كيف لا وجده الإمام علي عليه السلام ".وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن علىّ عليه السلام أنه قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيم نزلت، وأين نزلت، وإن ربى وهبَ لي قلباً عقولاً، ولساناً سئولاً". وعن أبى الطفيل قال: "شهدتُ علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل، أم في جبل". وأخرج أبو نعيم في الحلية عقال: "إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف، إلا وله ظهر وبطن، وإن علىّ بن أبى طالب عنده منه الظاهر والباطن" وغير هذا كثير من الآثار التي تشهد له بأنه كان صدر المفسرين والمؤيَّد فيهم. كان الإمام زين العابدين كثرة الرواية في التفسير عن علىّ عليه السلام، كثرة جاوزت الحد، الأمر الذي لفت أنظار العلماء النُقَّاد، وجعلهم يتتبعون الرواية عنه بالبحث

والتحقيق، ليميزوا ما صح من غيره. وما صح عن علىّ في التفسير قليل بالنسبة لما وُضِع عليه، ويرجع ذلك إلى غُلاة الشيعة، الذين أسرفوا في حبه فاختلفوا عليه ما هو برئ منه، إما ترويجاً لمذهبهم وتدعيماً له، وإما لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يُعلى من قدره، ويرفع من شأنه العلمي. وأظن أن ما نُسب إلى علىّ من قوله: "لو شئتُ أن أُوْقِرَ سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت" لا أصل له، اللَّهم إلا في أوهام الشيعة، الذين يغالون في حبه، ويتجاوزون الحد في مدحه. ثم هناك ناحية أخرى أغرت الوُضَّاع بالكذب عليه، تلك الناحية هي نسبته إلى بيت النبوة، ولا شك أن هذه الناحية، تُكسب الموضوع قبولاً، وتعطيه رواجاً وذيوعاً على ألسن الناس، والحق أن كثرة الوضع على عليّ عليه السلام أفسدت الكثير من علمه، ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلا على ما كان من طريق الإثبات من أهل بيته، أو من أصحاب ابن مسعود، كعبيدة السلماني وشُريح، وغيرهما. وهذه أهم الطرق عن علىّ في التفسير: وكان من شيوخ زيد بن علي: علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب: تتلمذ زيد على يد أبيه على زين العابدين وروي عنه، وقد كان علي زين العابدين عالماً بالحديث لكثرة من أخذ عنهم من الصحابة، والتابعين، بالإضافة إلى اشتغاله بالفقه وكان هو الأستاذ الأول الذي أخذ عنه زيد بن علي ولعلي زين العابدين مواقف مشهورة منها:- شدة احترام الناس له وقصيدة الفرزدق في مدحه: كان علي زين العابدين له مكانة عظيمة في عيون الناس وكانوا يحبونه ويقدرونه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلته لذكرى أبيه الشهيد الحسين رضي الله عنه الذي لم يبق من ولده سواه، وازداد هو إقبالا على العلم واشتغالاً بالعبادة حتى لُقّب زين العابدين وكان يكن بأبي الحسين وقيل: بأبي الحسن، وقيل بأبي محمد. وكان له جلالة عظيمة، وحُقَّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمي لشرفه وسؤدده، وعلمه وتألُهه وكمال عقله، ومما يدل على مكانة زين العابدين في عصره أنه لما حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد أراد أن يستلم الركن فلم يستطيع من الزحام، فنصب له منبر، فاستلمه وقام أهل الشام حوله فجاء زين العابدين ليستلم الحجر فأوسع له الناس إجلالاً له واحتراماً وكان في بزة حسنة وهيئة حسنة وشكل مليح فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ فقال لا أعرفه. فقال الفرزدق وكان حاضراً: أنا أعرفه وأنشد "هذا سَليلُ حسين وابن فاطمة... بنت الرسول، انجابت به الظلم

هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطاتـه ... والبيـت يعرفـه والحـلُّ والحـرمُ

هـذا ابـن خـير عبـاد الله كلـهم ... هـذا التقـي النقـي الطـاهر العلـم

إذا رأتـه قـريش قـال قائلـها ... إلى مكـارم هـذا ينتـهي الكـرم

يُغْضـي حيـاء ويُغضـى مـن مهابتـه ... فمـا يكلَّـمُ إلا حـين يبتسـم

مشـقه مـن رسـول الله نبعتـه ... طابـت عناصـرها والخـيمُ والشـيم

هـذا ابـن فاطمـة إن كنـت جاهلـه ... بجـده أنبيـاء الله قـد خُتمـوا

كلتـا يديـه غيـاث عَـم نفعهمـا ... تسـتوكفان ولا يعروهمـا عـدم

مـا قـال قـطُّ إلا في تشـهده ... لـولا التشـهد كانـت لاءَه نَعَـمُ

تأثره بما حدث لأهل بيته من تقتيل وتشريد وقتل جده الحسين بن علي رضي الله عنه وتعرضه هو بالذات إلى الإهانات من ولاة هشام بن عبد الملك ومن هشام نفسه[٨].. كان عليه السلام لا يقبل الذل والهوان صاحب شخصية فذة، مما جعلته شامخاً كالطود، فقد اتصف بالغيرة على الحق ومحبة العدل ومحاربة الظلم وقد ساهمت أسباب عديدة في خروجه على هشام ومن هذه[٩] الإمام علي بن الحسين أنه كان قدوة للمسلمين، كان سيداً، عالماً، زاهداً، حسن السيرة، متواضعاً، كثير العبادة، والرغبة إلى الخير[١٠].

المبحث الثالث

أسرار التنزيل للإمام السجاد عليه السلام

الإمام زين العابدين من أعلم الناس بكتاب الله تعالى في زمانه، ولعل من أهم عوامل معرفته بمعاني كتاب الله، هو أنه كان من العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها، وهذا بالضرورة يجعله على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول ومواضعه، ومُقَدَّم القرآن ومُؤخره، وناسخه ومنسوخه، ثم لا يُعقل بعد ذلك أن تمر عليه آية من القرآن يشكل معناها عليه، عن صالح الحمال قال سمعت زيد بن علي بقول اجتمعت قريش في حلقة فتفاخروا حتى انتهوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا له يا أبا الحسن قل فقد قال أصحابك قال فقال علي: ❖ الله أكرمنا بنصر نبيه ❖ وبنا أقام دعائم الإسلام وبنا أعز نبيه وكتابه ❖ وأعزنا بالنصر والإقدام في كل معركة تطير سيوفنا ❖ فيها الجماجم عن قراع الهام ينتابنا جبريل في

أبياتنا ❖ بفرائض الإسلام والأحكام فيكون أول مستحل حرمه ❖ ومحرم لله كل حرام نحن الخيار من البرية كلها ❖ ونظامها وزمام كل زمام الخائضون غمرات كل كريهة ❖ والضامنون حوادث الأيام والمبرمون قوي الأمور بعزهم ❖ والناقضون مراير الإبرام سائل أبا كرب وسائل تباعنا ❖ وأهل الحر والازلام إنا لنمنع من أردنا منعه ❖ ونجود بالمعروف والإنعام وترد عادية الجيوش سيوفنا ❖ ونقيم رأس الأصيد القمقام ❖ فقالوا يا أبا الحسن ما تركت لنا شيئا[١١]. أنشد زيد بن علي يقول ❖ بكرت تخوفني الحتوف كأنني ❖ أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل فأحبتها إن المنية منهل ❖ لا بد أن أسقى بكأس المنهل إن المنية لو تمثل مثلت ❖ مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ❖ أبي امروء سأموت إن لم أقتل ❖ أستودعك الله أبا إسحاق أعطي الله عهدا إن أدخلت يدي في طاعة لهؤلاء ما عشت. كان علي يقول: المروءة إنصاف من دونك والسمع الى من فوقك والجزاء بما أتي إليك من خير أو شر[١٢]. قال زيد بن علي بن الحسين: لو يعلم الناس ما في العرف من شرف... لشرفوا العرف في الدنيا على الشرف وبادروا بالذي تحوي أكفّهم... من الخطير ولو أشفوا على التلف وأخبرنا المدائني قال: لما رمي زيد بن علي بن حسين قال لابنه عيسى بن زيد:

أبني إمّا أهلكنّ فلا تكن ... دنس الفعال مبيّض الأثواب

واحذر مصاحبة اللئام فإنما ... يردي الكرام فسولة الأصحاب[١٣]

أما موارد التفسير وأسراره التي كشف أسرارها ومعانيها الإمام زين العابدين عليه السلام فهي كثيرة ولكن لابد من مختارات نقف عليها، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: قيام الليل، مصدر من " نشأ " إذا قام ونهض، على وزن فاعلة، كالعافية العاقبة، أو: إنَّ النفس التي تنشأ مِن مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض، أو: إن العبادة التي تنشأ بالليل، أي: تحدث، أو: ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة فساعة، وكان زين العابدين يُصلّي بين العشاءين ويقول: هذه ناشئة الليل. قلت: وهذا وقت كان السلف يحرصون على عمارته بأنواع العبادات؛ لأنه يمحوا ظلمة النهار التي تُكتسب من شغل الدنيا. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: موافقة للقلب. وقرأ البصري والشامي (وِطاء) أي: وِفاقاً، أي: يوافق فيها القلبُ اللسانَ، وعن الحسن: أشدّ موافقة بين السر والعلانية؛ لانقطاع رؤية الخلائق وغيرها، أو: أشدّ ثباتَ قَدَم وكلفة، أي: أثقل على المصلي من صلاة النهار؛ لطرد النوم في وقته، من قوله عليه السلام: " اللهم

اشْدُدْ وطْأتَك على مُضَرَ" ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أصْوب مقالاً، وبه قرأ أنس، فقيل له: إنما هو أقوم فقال: أقوم وأصوب واحد، وإنما كانت قراءة الليل أصوب قولاً؛ لقلة خطأ اللسان فيها؛ لتفرُّغه من ثقل الطعام، وقيل: المعنى: أثبت قراءةً؛ لحضور القلب؛ لهدوّ الأصوات، وانقطاع الحركات(١٤). جاءه رجل يسأل عن الصدقات، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى جزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من أهل تلك الأجزاء أعطيتك". وحكي عن زين العابدين أنه قال: إنه تعالى علم قدر ما يدفع من الزكاة وما تقع به الكفاية لهذه الأصناف، وجعله حقا لجميعهم، فمن منعهم ذلك فهو الظالم لهم رزقهم. وتمسك علماؤنا بقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١). والصدقة متى أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض. وقال صلى الله عليه وآله: "أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم(١٥)".

قال: وكان النبي يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل؟ فيقولون له: ما ندري، حتى قبض الله ذلك النبي فأهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة).قلت: قد ذكر في هذا الحديث انهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته فلا ينبغي ان يكونوا المعنيين بقوله) وأصحاب الرسّ (لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عن أصحاب الرسّ أنهم دمّرهم تدميراً إلاّ أن يكونوا دُمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وامنوا به فيكون ذلك وجهاً. وقد ذُكر عن أمير المؤمنين علي ح في قصة أصحاب الرس ما يصدّق قول عكرمة وتفسيره، وهو ما روى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنَّ رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمرو أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرسّ في أيّ عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله سبحانه إليهم رسولاً؟ وبماذا أُهلكوا؟ فإنّي أجد في كتاب الله سبحانه ذكرهم ولا أجد خبرهم، فقال له علي ح: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدّثك به أحد بعدي. وكان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوشاب كانت أُنبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنّما سُمّوا أصحاب الرسّ لأنهم رسّوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان بن داود، وكان له إثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له

الرس من بلاد المشرق، وبهم سمّي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض أغزر منه ولا أعذب، ولا قرى أكثر سكاناً ولا أعمر منها، وكانت، أعظم مداينهم اسفندماه وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسمّى نركوز بن عانور بن ناوش بن سارن ابن نمرود بن كنعار، وبها العين والصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمة، وحرموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها هم ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون: هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن يقطف من حباتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً تجتمع إليه أهلها ويضربون على الشجرة التي بها كلّة من حرير فيها أنواع الصور، ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتاره في الهواء، وحال بينهم وبين النظر إلى السماء، خرّوا للشجرة سجّداً يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها؛ كما جاء في الحديث: "عجبًا للمؤمن. لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له: إن أصابته سراء، فشكر، كان خيرًا له؛ وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له". وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة، كما تقدم في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥). وفي الحديث كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمر صلى. والصبر صبران، فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات. والثاني أكثر ثوابًا لأنه المقصود. كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين، الصبر لله بما أحب، وإن ثقل على الأنفس والأبدان، والصبر لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء. فمن كان هكذا، فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم، إن شاء الله "١٦".وقال علي بن الحسين زين العابدين: إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟ قال: فيقوم عُنُق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين يا بني آدم؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: وقبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله، حتى توفانا الله. قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنة، فنعم

أجر العاملين. قلت: ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠). وقال علي بن الحسين زين العابدين: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قال: في الآخرة. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف: ٤٧) وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه (٤) من الحكمة ما أودع، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه. ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ - قال قتادة: بالإخلاص. وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله - وقد بيَّن في المكان ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟[١٧]. وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة[١٨]. في قوله تعالى: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر: ٢٨) وإما ظاهر معناه فيكون إشارة إلى أن من الباطن ما يحرم كشفه، فقد قال مولانا زين العابدين:

ورب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولا استحل أناس مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم: ١٠) قال: أوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سراً إلى قلبه، ولا يعلم به أحد سواه إلا في العقبى حين يعطيه الشفاعة لأمته، وقال الواسطي ألقى إلى عبده ما ألقى ولم يظهر ما الذي أوحى لأنه خصه سبحانه به ﷺ، وما كان مخصوصاً به عليه الصلاة والسلام كان مستوراً، وما بعثه الله تعالى به إلى الخلق كان ظاهراً، وعن سعيد المقبري قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم أراد عنقه وأصل معناه مجرى الطعام، وبذلك فسره البخاري، ويسمون ذلك علم الأسرار الإلهية وعلم الحقيقة، وإلى ذلك أشار رئيس العارفين علي زين العابدين حيث قال: يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(٦٧).

إني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين، وأوصى قبله الحسنا
فرب جوهر علم لو أبرح به	لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسناً

ومن ذلك علم وحدة الوجود، وقد نصوا على أنه طور ما وراء طور العقل، وقالوا: إنه مما تعلمه الروح بدون واسطة العقل، ومن هنا قالوا بالعلم الباطن على معنى أنه باطن بالنسبة إلى أرباب الأفكار، وذوي العقول المنغمسين في أوحال العوائق والعلائق لا المتجردين العارجين إلى حضائر القدس ورياض الأنوار.، فمن عمل بما علم تكلم كما تكلموا وصار جميع ما قالوه بعض ما عنده، لأنه كلما ترقى العبد في باب الأدب مع الله تعالى دق كلامه على الأفهام حتى قال بعضهم لشيخه: إن كلام أخي فلان يدق على فهمي، فقال: لأن ذلك قميصين وله قميص واحد فهو أعلى مرتبة منك، وهذا هو الذي دعا الفقهاء ونحوهم من أهل الحجاب إلى تسمية علم الصوفية بعلم الباطن، وليس ذلك بباطن إذ الباطن إنما هو علم الله تعالى، وأما جميع ما علمه الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من علم الظاهر لأنه ظهر للخلق، فاعلم ذلك انتهى. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ﴾ من الثياب وكل ما يتجمل به ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ أي خلقها لنفعهم من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالخواتم والدروع ﴿والطيبات مِنَ الرزق﴾ أي المستلذات، وقيل: المحللات من المآكل والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها. واستدل بالآية على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في ﴿مِنْ﴾ لإنكار تحريمها على أبلغ وجه. ونقل عن ابن الفرس أنه قال: استدل بها من أجاز لبس الحرير والخز للرجال. وروي عن زين العابدين رضي الله تعالى عنه أنه كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً فإذا أصاف تصدق به لا يرى بذلك بأساً ويقول ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾. وروي أن الحسين عليه السلام أصيب وعليه جبة خز وأن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما لما بعثه علي كرم الله تعالى وجهه إلى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب أحسن مراكبه فخرج إليهم فوافقهم فقالوا: يا ابن عباس بينا أنت خير الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية لكن روي عن طاوس أنه قرأ هذه الآية وقال: لم يأمرهم سبحانه بالحرير ولا الديباج ولكنه كان إذا طاف أحدهم وعليه ثيابه ضرب وانتزعت منه فأنكر عليهم ذلك، والحق أن كل ما لم يقم الدليل على حرمته داخل في هذه الزينة لا توقف في استعماله ما لم يكن فيه نحو مخيلة كما أشير إليه فيما تقدم.

وقد روي أنه صلى الله عليه وآله خرج وعليه رداء قيمته ألف درهم، وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يرتدي برداء قيمته أربعمائة دينار وكان يأمر أصحابه بذلك، وكان محمد يلبس الثياب النفيسة ويقول: إن لي نساء وجواري فأزين نفسي كي لا ينظرن إلى غيري. وقد نص الفقهاء على أنه يستحب التجمل لقوله عليه الصلاة والسلام: ((إن لله تعالى إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه)) وقيل لبعضهم: أليس عمر رضي الله تعالى عنه كان يلبس قميصاً عليه كذا رقعة فقال: فعل ذلك لحكمة هي أنه كان أمير المؤمنين وعماله يقتدون به وربما لا يكون لهم مال فيأخذون من المسلمين. نعم كره بعض الأئمة لبس المعصفر والمزعفر وكرهوا أيضاً أشياء أخر تطلب من محالها[١٩]. في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾؟ وروي عن علي زين العابدين: أن الله أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه سينكح زينب بنت جحش. وعن الزهري: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله يعلمه أن الله زوجه زينب بنت جحش وذلك هو ما في نفسه ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. وهذه القضية يجب أن يستشعرها كل مؤمن يتعرض لتمحيص الحق له، وعلى كل مسلم أن يتذكر تلك التجربة، تجربة أحُد، فليلة واحدة كانت هي الفارق بين يوم معركة أحُد ويوم الخروج لملاحقة الكفار في حمراء الأسد، ليلة واحدة كانت في حضانة الله وفي ذكر لتجربة التمحيص التي مر بها المؤمنون إنها قد فعلت العجب؛ لأنهم حينما طاردوا الكفار، لم يأبهوا لمحاولات الحرب النفسية التي شنها عليهم الأعداء، بل زادهم ذلك إيمانا وقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٢٠]. إذن فقد تجردوا من نفوسهم ومن حولهم ومن قوتهم ومن عددهم ومن أي شيء إلا أن يقولوا: الله كافينا وهو نعم الوكيل لمن عجز عن إدراك بغيته. لقد عرفوا الأمر المهم، وهو أن يكون كل

منهم دائما في حضانة ربه، وقد أخذ صحابة رسول الله وآل بيت رسول الله هذه الجرعة الإيمانية واستنبطوا منها الكثير في حل قضاياهم. وقول الله سبحانه: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ يُذكرنا بالإمام جعفر الصادق ابن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين العابدين وكان من أفقه الناس بالقرآن، وكان من أعلمهم في استنباط أسرار الله في القرآن، إنّه كان يجد في قول الحق: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ استنباطا رائعا، فهو يتعجب لأي إنسان أدركه الخوف من أي شيء يخيف، والإنسان لا يخاف إلا أمرا يَنْقُضُ عليه رَتَابَة راحته، ويقلقه ويهدده في سلامه وأمنه واطمئنانه، ويكون لهذا الخوف مصدر معلوم، فإذا ما تعرض المؤمن لمثل هذا الخوف فعليه أن يتذكر قول الحق: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ لأنها قضية نفعت الجيش كله في معركته مع الكفار، فحين يأخذ الفرد هذه الجرعة فهو يستعيد رباطة الجأش. واشتداد القلب فلا يفر عند الفزع. وينبهنا سيدنا جعفر الصادق إلى هذه القضية لنفزع إليها عند كل ما يُخيفنا فيقول: عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إنه بنظرته الإيمانية يتعجب لإنسان أدركه الخوف ثم لا يفزع إلى هذا القول الكريم ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ثم يستنبط بإشراقاته سر هذا فيقول: لأني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ وانظروا إلى قول سيدنا جعفر الصادق: " فإني سمعت الله بعقبها " هو قرأ بنفسية المؤمن الصادق، فالمؤمن حين يقرأ كلام الله إنما يستحضر أنه يسمع الله يتكلم إنه يقول: فإني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ ولذلك فالحق يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). فأنت حين تستمع إلى القرآن فالله هو الذي يتكلم، ومن العيب أن يتكلم ربك في أذنك ثم تشغل عنه وهو ربك، إذن فعلاج الخوف هو أن تقول من قلبك: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وأن تقولها بحقّها، فإن قلتها بحقها كفاك الله شرّ ذلك الخوف، لأن الله يقول بعد ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ انظر إلى النعمة والفضل، إنهما من الله، وقد تصيبك النعمة والفضل ولكن تقدر ذلك في أخريات الأمور، فأوضح الله أن النعمة زادت في أنها غنيمة

باردة، ولم يحدث فيها أن مسّنا سوء، إن ذلك هو قمة العطاء ورأسه وسنامه، فإذا قدرته في أخريات الأمور فقد أخطأت التقدير ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ ونتيجة لتلك التجربة النافعة هي أن ﴿اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، وقد نجحت التجربة مع المؤمنين.

ويقول الإمام جعفر الصادق ليكمل العلاج لجوانب النفس البشرية، ويصف الدواء فالنفس البشرية يفزعها ويقلقها ويجعلها مضطربة أن تخاف شراً يقع عليها، وعلاج هذا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ويضيف: وعجبت لمن اغتمّ ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢١].

و"الغمّ" قلق في النفس، ولكنك لا تدرك أسبابه، فأسبابه مُعقدّة، صدر يضيق، ولذلك تقول: أنا صدري ضيق، أنا متعب ولا أدري لماذا؟ أي لم يمرّ بك الآن أشياء تستوجب هذا، إنما قد تكون حصيلة تفاعلات لأحداث وأمور أنت لا تتذكرها الآن، هذا اسمه "غمّ"، فإذا ما فزع العبد إلى قول الحق سبحانه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فالعبد يقرّ بذنبه ويقول: هذا الغمّ لم يأتني إلا لأنني خرجت عن المنهج، ويذكرنا سيدنا جعفر الصادق بأنه سمع بعدها قول الله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨) والذي قال ذلك هو سيدنا يونس﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ. وهذه الاستجابة من الله ليست خاصّية كانت ليونس عليه السلام، لأنه سبحانه قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنه باب واسع أدخل الله فيه كل المؤمنين، ويضيف سيدنا جعفر الصادق: وعجبت لمن مُكر به ولم يفزع إلى قول الله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤). فإني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾. ومُكر به معناها بيّت له الشر بحيث يخفى، لأن المكر هو: تبييت من خصمك لشرّ يصيبك، بينما أنت تقف بجانب الحق، فيكون هذا المكر شراً يُبيّت لخير وحق، وهذا هو المكر السّيء، ويقابله مكر حَسن، ولذلك يقول الحق: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣). إذن فهناك مكرٌ ليس بسيء، كأن يُبيت صاحب الحق لصاحب الشرّ تبييتا يخفى عليه، هذا اسمه مكر خير؛ لأنه محاربة لشرٍّ؛ ولذلك يوضح لنا الله هذا الأمر: افطنوا إلى هذه، فإن كانوا يمكرون ويُبيّتون، فهم إن بيّتوا على الخلق جميعاً لا يُبيّتون

على الله لأنه سبحانه العليم، الخالق، المُربّي، وإن يُبيّت الله لهم فلن يستطيعوا كشف هذا التبييت، إذن فالله خير الماكرين؛ لأن تبييتهم مكشوف أمام الخالق؛ لذلك فهو مكر ضعيف، أما المكر الحقيقي فهو الذي لا توجد وسيلة تعرفه بها. ونواصل مع سيدنا زين العابدين قوله في علاج النفس البشرية فيقول: وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قول الله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩). فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ (الكهف: ٣٩-٤٠). واستنبط سيدنا ذلك من حكاية صاحب الجنة: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ ﴿الكهف: ٣٩-٤٠﴾. إنك حين تقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فإن الدنيا تأتيك مهرولة، لأنك جرّدت نفسك من حولك، ومن قوة حيلتك وأسبابك، وتركت الأمر لله سبحانه وتعالى القادر على كل عطاء.

إذن فالجوانب البشرية في النفس: هي خوف له علاج ووَصْفَة، وهمٌّ له علاج ووصفة، ومكر بك له علاج ووصفة، وطلب دنيا وسعادة لها علاج ووَصْفَة، والوصْفة التي نحن بصددها هنا: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾. والنعمة أن يعطيك الله على قدر عملك، والفضل من الله هو أن يزيدك عطاء، ولم يمسس السوء أحداً من المؤمنين الذين طاردوا المقاتلين من قريش، وكان من نتيجة ذلك أنهم جمعوا بين كل ما وهبه الله لهم؛ من نعمة وفضل مع اتباعهم رضوان الله؛ فقد صارت المسألة بالنسبة لهم تجربة مُحسّة ومُجرّبة ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. لقد حاول المنافقون أن يثبطوا المؤمنين عن لقاء كفّار قريش، فيريد الحق أن يكشفهم، ويظهر الدافع إلى مثل ذلك الموقف من المنافقين؛ لذلك قالوا للمؤمنين: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾. ويظهر الله للمؤمنين حقيقة موقف المنافقين: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾[٢٢]. واستشهد بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ صحيح، لكن ليس هو المراد ههنا، لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه، وكذا قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر، ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر، صحيح فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة. وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابني

علي الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله ابن عباس، وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين، فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ. قال الامام زين العابدين. عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالامس نطفة ويكون غذا جيفة. وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه. وعجبت كل العجب لمن انكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى. وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء فعلى العاقل ان يعتبر بمن مضى قبل ان يجبيء على رأسه القضاء ويجتهد في طريق الحق ذاكرا له في الغدو والرواح ويتهيأ للموت قبل نزوله والوقت يمضى كالرياح فاين الذين وقعوا في انكار الرسل وتكذيب الانبياء مضوا والله الى دار الجزاء وسينقضي الزمان كله فلا يبقى احد على بساط العالم من ملك وجن وبنى آدم وتطوى صحائف الاعمال وتنشر يوم السؤال ويظهر كل جليل ودقيق فيا شقاوة اهل الخذلان ويا سعادة اهل التوفيق اللهم انا نسألك مراقبة الاوقات ومحافظة الطاعات والتمشي على الصراط السوى في المسلك الصوري والمعنوي فاعن الضعفاء يا قوى آمين يا معين[٢٣]. ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿يحلفون﴾ به تعالى ﴿لَكُمْ﴾ (براى شما) ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بخلقتهم الكاذبة ولتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المتمردين في الكفر فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه. والمقصود من الآية نهى المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن كما في الارشاد - روى- ان النبى عليه السلام حين قدم المدينة قال ((لا تجالسوهم ولا تكلموهم)) وفيه اشارة الى هجر المنافق والمصر على ذنبه الى ان يتوب. قال محمد الباقر رضى الله عنه أوصانى ابى زين العابدين رضى الله عنه فقال لا تصحبن خمسة ولا تحاد بهم ولا ترافقهم في الطريق. ولا تصحبن فاسقا فانه يبيعك باكلة فما دونها. قلت يا ابت وما دونها قال يطمع فيها ثم لا ينالها. ولا تصحبن البخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه. ولا تصحبن كذابا

فانه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد. ولا تصحبن احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك وقد قيل عدو عاقل خير من صديق احمق. ولا تصحبن قاطع رحم فأنى وجدته ملعونا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع. ثم في الآيات بيان الاعتذار الباطل مردود على صاحبه وان كان قبول العذر من اخلاق الكرام في نفس الامر: وفي المثنوى.

عذر احمق بدتر از جرمش بود عذر نادان زهر هردانش بود

وبيان ان اليمين الكاذبة لترويج عذره وغرضه باطلة ومذمومة بل رب يمين صادقة لا يتجاسر عليها من هو بصدد التقوى حذرا من ابتذال اسم الله تعالى فلا بد من ضبط اللسان وفى الحديث ((لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس)). وبيان ان المنافقين رجس اى جعلوا على طينة خبيثة غير طيبة ولذا كسبوا بخباثة تلك الطينة اعمالا خبيثة واوصافا ذميمة وبها صاروا مستحقين للنار مطلقا أي صورية وهى نار جهنم ومعنوية وهى نار القطيعة والهجران من الله تعالى ومن الرسول عليه السلام والمؤمنين اجمعين[٢٤] فعلى العاشق المهجور ان يبكى من ألم الفراق ويبالغ في الوجد والاشتياق لعل الله تعالى يزيل البين من البين ويجعله بعد غمه وهمه قرير العين ويرضى عنه كما رضى عن الابرار جمع عربي والمجوس ولا يسخط عليه الى ابد الآبدين ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فسلام بمعنى السلامة و دالة على تعظيمه وكماله لان ما كان من الله العظيم عظيم او بسلام وتحية منا عليك كما قال ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَعَلَى أُمَمٍ﴾ والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه من اولاده الى يوم القيامة فهو من اطلاق لعام وارادة الخاص، ولذا سمى آدم الثاني وآدم الاصغر لأنه لم يحصل النسل الا من ذريته وقد اخرج الله الكثير من القليل بقدرته كما اخرج من صلب زين العابدين عليه السلام الكثير الطيب وذلك انه قتل مع سلطان الشهداء الحسين عليه السلام عامة اهل بيته ولم ينج الا ابنه زين العابدين اصغرهم عليه السلام فإما الله تعالى ذريته السادة. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي بين جنسي السموات والارضين ولو أراد بين اجزاء المذكور لقال بينهن وفيه اشارة إلى ان أصل السموات واحدة

عند بعضهم قم قسمت كذا في الكواشي ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو للحق والباء توضع موضع اللام يعنى لينظر عبادي اليهما فيعتبروا. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة كما في المدارك وقال ابن ملك هي اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم. وقال ابن الشيخ سميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافتها الانفاس ﴿لَآتِيَةٌ﴾ لكائنة لا محالة كما قيل (كرجه قيامت دير آمد ولى مى آمد) أي فينتقم الله لك يا محمد فيها من اعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك واياهم على سيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ليجزي كل محسن بإحسانه وكل مسيء باساءته ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ يقال صفح عنه عفا وصفح اعرض وترك أي فاعرض عن المكذبين اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم.

قال الكاشفي ﴿ان ربك﴾ الذي يبلغك الى غاية الكمال ﴿هو الخلاق﴾ لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق. وفى الارشاد باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع المور ليحكم بينهم وفى الآية امر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان ﷺ احسن الناس خلقا وارجح الناس حلما واعظم الناس عفوا واسخى الناس كفا. وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى انه سبه رجل فتغافل عنه فقال له ابارك اعنى فقال وعنك اعرض اشار الى آية خذ العفو ائمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولما ضرب جعفر بم سليمان العباسي والى المدينة مالكا رضى الله عنه ونال منه وحمل مغشيا وافاق قال اشهدكم انى جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال خفت ان اموت والقى النبي ﷺ واستحيى منه ان يدخل بعض آله النار بسببي. ولما قدم المنصور المدينة ناداه ليقتص له من جعفر فقال اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بليغ اللطف والبر بخلقه كلهم ﴿خَبِيرًا﴾ بليغ العلم بالاشياء كلها فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك امر ونهى او يعلم من يصلح لنبوته ومن يستأهل ان يكون من اهل بيته روى انه تكلم رجل في زين العابدين رضى الله عنه وافترى عليه فقال زين العابدين ان كنت كما قلت فاستغفر الله وان لم اكن

نستغفر الله لك فقام اليه الرجل وقبل رأسه وقال جعلت فداءك لست كما قلت فاستغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم حيث يجعل رسالته[٢٥]. وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت اليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين مهلا على الرجل ثم اقبل عليه وقال بالله ألا ما سترت من امرنا ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل فالقى عليه خميصه كانت عليه وامر له ألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول اشهد أنك من اولاد الرسول"". وفى المثل ((ذهب الناس وما بقى الا النسناس)) وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس او هم خلق في صورة الناس فعلى العاقل ترك الاغترار بالانساب والاحساب والاجتهاد فيما ينفعه يوم الحساب وكان زين العابدين رضى الله عنه يقول اللهم انى اعوذ بك ان تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي ومن الله التوفيق[٢٦].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي عندها البعث والنشور والنفخ نفخ الريح في الشيء والصور مثل قرن ينفخ فيه فيجعل الله ذلك سبباً لعود الأرواح إلى أجسادها. ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها والنسب القرابة بين اثنين فصاعداً أي اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسب بين الإخوة وبني الأعمام ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما بينهم اليوم ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً فلا يقول له من أنت ومن أي قبيلة ونسب أنت ونحو ذلك لاشتغال كل منهم بنفسه لشدة الهول فلا يتعارفون ولا يتساءلون كما أنه إذا عظم الأمر في الدنيا لم يتعرف الوالد لولده ولا يناقضه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات: ٥٠) لأن عدم التساؤل عند ابتداء النفخة الثانية قبل المحاسبة والتساؤل بعد ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة ففي موطن يشتد عليهم الهول والفزع بحيث يشغلهم عن التساؤل والتعارف فلا يفطنون لذلك وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون وتتعارفون. وعن الشعبي: سئل رسول الله أما نتعارف يوم القيامة أسمع الله يقول: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فقال عليه السلام: "ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى إلى كل إنسان كتابه عند الموازين وعلى جسر جهنم"

قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيفرح العبد يومئذٍ أن يثبت له حق على والده وولده أو زوجته وأخيه فلا أنساب بينهم يومئذٍ. وعن قتادة لا شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه أن يثبت له عليه شيء ثم تلا ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية (عبس/ ٣٤) قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: الأنساب كلها منقطعة إلا من كانت نسبته صحيحة في عبودية ربه فإن تلك نسبة لا تنقطع إبداً وتلك النسبة المفتخر بها لا نسبة الأجناس من الآباء والأمهات والأولاد. قال الأصمعي: كنت أطوف بالكعبة في ليلة مقمرة فسمعت صوتاً حزيناً فتبعت الصوت فإذا أنا بشاب حسن ظريف تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحي القيوم وقد غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين فها أنا سائلك ببابك مذنباً فقيراً مسكيناً أسيراً جئت أنتظر رحمتك يا أرحم الراحمين ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم	يا كاشف الضر والبلوى مع القسم
قد نام وفدي حول البيت وانتبهوا	وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي ومولاي ومستندي	فارحم بكائي بحق البيت والحرم
أنت الغفور فجد لي منك مغفرة	أو اعف عني يا ذا الجود والنعم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو جرم	فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم رفع رأسه نحو السماء وهو ينادي: يا إلهي وسيدي مولاي إن أطعتك فلك المنة علي وإن عصيتك فبجهلي فلك الحجة علي اللهم فبإظهار منتك علي وإثبات حجتك لديّ ارحمني وأغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي قرة عيني وحبيبك وصفيك ونبيك محمد صلى الله عليه وآله ثم أنشأ يقول:

ألا أيها المأمول في كل شدة	إليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي	فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل ما أراه مبلغي	على الزاد أبكي أم لبعد مسافتي

فكان يكرر هذه الأبيات حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فوضعت رأسه في حجري وبكيت لبكائه بكاءً شديداً شفقة عليه فقطر من دموعي على وجهه فأفاق من غشيته وفتح عينه وقال: من الذي شغلني عن ذكر مولاي فقلت أنا الأصمعي يا سيدي ما هذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) قال: فاستوى جالساً وقال يا أصمعي هيهات إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وإن كان ملكاً قرشياً أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢٧].

فمن ذلك ما رويته بإسنادي الى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني فيما رواه في كتاب الصوم من كتاب الكافي فقال بإسناده عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: التقدير في ليلة تسع عشرة، والابرام في ليلة احدى وعشرين، والامضاء في ليلة ثلاث وعشرين. وروى ابن بابويه في كتاب من لا يحضره الفقيه في ذلك ما هذا لفظه: وقال الصادق عليه السلام: في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير، وفي ليلة احدى وعشرين القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين ابرام ما يكون في السنة الى مثلها، ولله عز وجل ان يفعل ما يشاء في خلقه. وسوف يوجد في الاخبار ان مولانا زين العابدين صلوات الله عليه كان يتصدق كل يوم من شهر الصيام بدرهم، رجاء ان يظفر بالصدقة في ليلة القدر. وفي كتاب علي بن اسماعيل الميثمي في كتاب اصله عن علي بن الحسين عليه السلام: كان إذا دخل شهر رمضان تصدق في كل يوم بدرهم، فيقول: لعلي اصيب ليلة القدر. أقول: اعلم ان مولانا زين العابدين عليه السلام كان اعرف اهل زمانه بليلة القدر، وهو صاحب الأمر في ذلك العصر والمخصوص بالاطلاع على ذلك السر. ولعل المراد بصدقته كل يوم من الشهر ليقتدي به من لم يعلم ليلة القدر في فعل الصدقات والقربات كل يوم من شهر رمضان، ليظفر بليلة القدر ويصادفها بالصدقة وفعل الاحسان. أقول: ولعل مراد مولانا علي بن الحسين عليه السلام اظهار ان يتصدق كل يوم بدرهم، ليستر عن الاعداء نفسه، بأنه ما يعرف ليلة القدر، لئلا يطلبوا منه تعريفهم[٢٨]. ان ثابت بن دينار، قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات، وما فيها من عجائب صنعه

وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨)فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾؟ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور، فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الارض حتى ظن أنه في القرب من الارض كقاب قوسين أو أدنى. وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين ولقد كان علي بن الحسين زين العابدين "عليه السلام"[٢٩].

وأخرج ابن حجر ان الامام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام كان إذا تلى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية،

خُذِ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاك وارْضَ بِها ... لَوْ لم يَكُنْ لَكَ إلا رَاحَةُ البَدَن

يَا زَارِعَ الخَيْرِ تحصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً ... يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الوَهَنِ

يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ العِصْيان واكْتَسِبِي ... فِعْلاً جميلاً لَعَلَّ اللهَ يَرحَمُني

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ ثُوبي واعمَلِي حَسَناً ... عَسَى تُجازَيْنَ بَعْدَ الموتِ بِالحَسَنِ

ثمَّ الصلاةُ على الْمُختارِ سَيِّدِنا ... مَا وَصَّا البَرْقَ في شَّامٍ وفي يَمَنِ

والحمدُ للّه مُمْسِينَا وَمُصْبِحِنَا ... بِالخَيْرِ والعَفْوْ والإحْسان وَالمِنَنِ

ومما يذكر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" قوله: عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل) ومن عدل الإسلام ما ردّ به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على من عاتبه في مساواته بين الناس في العطاء، فقال: (تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سَمَر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)[٣٠] ومن كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في طلبه من رعيته بالعون على إقامة العدل، بإنصاف المظلوم، والأخذ على يد الظالم، قال: (لم تكُن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أريدكم لله. وأنتم تريدوني لأنفسكمّ! أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم، ولأقود الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً). تلك صور من عدالة الإسلام وسماحته ونبذه للعنف وطرقه، وكان عليه السلام يحث في دعوته الدائمة للعدل والمساواة، وسيادة القانون على الجميع دون استثناء، إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه

وأحكامه، والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة بالعنف والعدوان لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها. كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف هم أنفسهم يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاورة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل الخاطئ[٣١]. وإلى المؤسسات التعليمية في البلد ولابد من الرجوع إلى الهوية والانتماء وقد يحتاج الفرد إليهما لتنظيم حياته اجتماعيا كالأسرة أو الدولة وهي حاجة إنسانية وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة[٣٢]. فالحذر الحذر من ترك الأبناء لتربية الشوارع وصدق من قال أرحام تدفع وشوارع تبلع لابد أن يمتلك المربي خصال حميدة يتحلى بها المربون من أمهات وآباء ومعلمين؟ هناك صفات أساسية تلزم كل مرب يباشر التربية والتعليم لأبنائه أو لغيرهم. من ذلك: الحلم والأناة: وهما من الصفات التي يحبهما الله ولهما تأثير تربوي كبير، أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأشج عبد قيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة". الرفق واللين: روى الإمام مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه". والحمد لله في البدء والختام...

الخاتمة والتوصيات:

بعد الانتهاء من هذا البحث ومن هذه المناقشة والمحاورة الهادفة وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على منهج الإمام زين العابدين عليه السلام في التفسير والتأويل، وكيف ظهرت مروياته في العبادة والسيرة والأخبار ليعرف الباحث والمتلقي مكانته في الإسلام، وشدَّة علاقته بالدِّين، وقواعده الأساسية، وهو يعرب عن مكانته في فهم أسرار التنزيل وتضلعه فيه وكثرة تلاميذه، وبلوغه الذروة في الإحاطة بالمناقب والفضائل والرواية والعلم. وهي تدل على عظيم إكبارهم له وجليل مكانته في نفوسهم، فهم شهدوا باجتهاده في استنباط الأحكام

الفقهية وتقدمه في العلوم والمعارف الإسلامية وقطعه لأشواط بعيدة المنال لغيره، وله في تهذيب النفس والسير والسلوك والزهد والتقوى وجامعيته في الفنون وجمال عباراته وتبحره في أنواع الفنون. وكلهم عظموه وبجلوه ووصفوه بأوصاف تدل على عظيم مكانته في العلم والتحقيق، ولعل من المفيد استخلاص أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث، ونحن في نهاية الجولة العلمية التي أتاحت للقارئ فرصا عديدة للإطلاع عليها، وبيان الجوانب العلمية في آثار الإمام السجاد عليه السلام تحقيقا وتحليلا، الأمر الذي قد يجعل المتلقي يخرج بفكرة واضحة حول الموضوع الذي من أجله جاء هذا البحث. لذا نثبت أبرز أحكامه في هذه الفوائد والنتائج إن شاء الله: فبعد كتابة هذا البحث ظهرت لي النتائج الآتية:- عناية آل البيت عليهم السلام بحفظ الضروريات الخمس التي نادى بها الإسلام: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ورتب الأحكام المناسبة لها.- غياب العلم الشرعي وتفشي الجهل سبب عظيم لوقوع الفتن وانتشارها، فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة.- عالمية رسالة الإسلام للناس أجمعين، كما أوضحت الدراسة أيضا أن نهج زين العابدين عليه السلام هو من ثوابت دين الله الذي فطر الناس عليه جميعًا، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام.. لقد مارس الإمام زين العابدين عليه السلام أساليب النصح والإرشاد لجميع أفراد المجتمع، لأسباب كان من أهمها قوة الحجة، وهو صاحب المنهج الوسطي الصحيح المعتدل.❖ والإسلام يأمر بالحوار ويدعوا إلى التفاهم والتعارف والتسامح والتعايش السلمي وهذا نهج آل البيت عليهم السلام كما بين أسراه في القرآن الكريم، ويحذر الإسلام أمته من الانحراف نحو التشدد في الاعتقاد أو العمل، رسم البحث في شكله الأخير التوجيه العام للنهج المعتدل المتعلقة بحماية الأسرة في ضوء التعايش والحب والمودة وزيادة الوعي وتعزيز القدرات والحمد لله في البدء والختام.

هوامش البحث

(١) الأعلام خير الدين الزركلي (٩/ ٢٥٥)
(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ص: ١٥٤)
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٤٥٩)
(٤) والبداية والنهاية ٨: ١٨٥.
(٥) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٢٠)
(٦) الأمالي- الشيخ الطوسي (١/ ٤٦٥) الأمالي (مجلد واحد) (٢/ ١٨٢)
(٧) التفسير والمفسرون للذهبي (٢/ ٢٣)
(٨) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (٢/ ٤٦٢)
(٩) تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٣/ ١٢٨)
(١٠) التحبير في المعجم الكبير (٢/ ٩١)
(١١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٥٢٢)
(١٢) بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤٠٤٢)
(١٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١٢/ ٤٣٩)
(١٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٦٨)
(١٥) الكشف والبيان للنسابوري (٧/ ١٣٥)
(١٦) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٦)
(١٧) تفسير الألوسي (٣/ ٥٦، بترقيم الشاملة آليا)
(١٨) تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٧)
(١٩) تفسير البغوي (٦/ ٣٥٥)
(٢٠) تفسير الشعراوي (ص: ٥٦٥)
(٢١) (الأنبياء: ٨٧).
(٢٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (١٧/ ٢٧)
(٢٣) تفسير حقي (٤/ ١٠٥، بترقيم الشاملة آليا)
(٢٤) تفسير حقي (٤/ ١٠٥، بترقيم الشاملة آليا)
(٢٥) تفسير حقي (١٢/ ٤١، بترقيم الشاملة آليا)
(٢٦) تفسير روح البيان لإسماعيل الإستانبولي (٦/ ٧٦)
(٢٧) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٣٠) إقبال الأعمال لابن طاووس الحسني (١/ ٢٥٩)
(٢٨) الأمالي لأبي جعفر الحسين (١/ ٣٦٠)
(٢٩) ليس الغريب لزين العابدين (ص: ٣)

(٣٠) رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم ٢١٦٥
(٣١) الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج (١ / ٣٢)
(٣٢) موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ (٤ / ١٧٦)

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة: أبو القاسم، محمد بن احمد الزمخشري، ت٥٣٨هـ تح، محمد باسل، دار الكتب ألعلمية، ط ١، ١٩٩٨م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، بيروت، ١٣٨٩هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي ج ٧ تح. عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٥م.
- تاريخ أسماء الثقاة: أبو حفص، احمد بن أيوب البغدادي تح صبحي السامرائي، الدراسة السلفية - الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور، محمد بن احمد الأزهري، ٣٧٠هـ تعليق عمر سلامي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم، عبد الرحمن بن احمد السهيلي، ت٥٨١هـ، دار أحياء التراث العربي ط١ ١٤١٢هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن قاسم الأنبا ري ت ٣٢٨ هـ تح د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت ط١، ١٩٩٢هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري تح، احمد عبد الغفور عطار، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام - مصدر الكتاب: موقع يعسوب: تاريخ دمشق - المؤلف: ابن عساكر - مصدر الكتاب: ملفات وورد من على ملتقى أهل الحديث

الكتاب: الأمالي المطلقة المؤلف: أحمد بن حجر العسقلاني - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٥ - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

تفسير حقي المؤلف: حقي مصدر الكتاب: موقع التفاسير أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - مصدر الكتاب: موقع يعسوب أدب الضيافة (مجلد واحد) - مصدر الكتاب: موقع يعسوب.